

سَرْدِيَّةُ الْخَبَرِ الطَّقُوسِيِّ دِرَاسَةٌ فِي طُقُوسِ الصَّبِّ عِنْدَ الْعَرَبِ قَبْلَ الْإِسْلَامِ

The Ritualized News Narration
: A study in the Rituals of Pouring and Spilling in Arab

م.د. كاظم خضير كاظم
جَامِعَةُ الشَّطْرَةِ - كَلِيَّةُ التَّرْبِيَّةِ لِلْبَنَاتِ - قِسْمُ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ

Lecturer : Khadim Khudair Khadim
University of Shatra, College of Education for Women
Department of Arabic Language

الملخص:

يسعى هذا البحث إلى إعادة بناء وترميم طقوس الصَّبِّ، عبر دراسة آثارها واستخلاص مادتها المتنثرة في ثنايا الأخبار والنصوص المختلفة. ولتحقيق هذه الغاية، قُسم البحث على محورين رئيسين: ركّز الأول على دراسة البنيات السردية للأخبار الطقوسية، وفحص نسقية البناء والتشكّل فيها. أما المحور الثاني، فقد تناول فاعلية التعالق والإدماج في إعادة تشكيل الأخبار، وتوجيه دلالاتها النصّية. وقد خلص البحث إلى نتائج منها: إن طقوس الصَّبِّ والخبار المرتبطة بها هي من الرموز التأسيسية للوعي الجاهلي وإن تحليلها وفكّ شفراتها يضع بين أيدينا مفاتيح ناجزة لفهم هذا الوعي وإدراك موائمة الاسطورة فيه. ومن النتائج التي تُوصل إليها أنّ مقولة النسق هي التي تحكم تشكّل البنيات الكُليّة للخبر الطقوسي، فالبنية الجزئية هي التي تمثّل الخبر ليكون الركيزة السردية التي ترتبط مع بنيات أخرى بعلاقات لغوية ودلالية. وإن عملية الإدماج هذه تجري تحت تأثير صيغة الخبر الموجزة، ولغته الحيوية وحدثه المركز. وخلص البحث أيضاً إلى أن طقوس الصب لها وظائف

التي كان يتبعها الإخباريون في سرد مروياتهم؛ فهم يُسندون الخبر إلى بعض النصوص أو القصص الشعبية*، وبفعل المجاورة بينهما كثيراً ما يند محتوى القصص؛ ليمارِج مضامين الأخبار^(١) ويشكّل معها نسيجاً متداخلاً يحيل كل طرف منهما إلى معانٍ ودلالاتٍ مختلفة.

وما يجعل الأخبار طيّعةً ومنساقّةً إلى هذا النمط من العمارة كفاءتها وقدرتها الفائقة على «الحركة، والتنقل» و«المجاورة، والاندماج» وهذه الخصائص أوجدتها صيغَةُ الخبرِ الموجزة، ولغتها الحيويّة، وحدثه المركز. إذ جاء في تعريف الخبر أنه أصغرُ وحدةٍ حكائيّة. (٢) مرّكّزة الحدث، وذات لغةٍ حيويّة قابلةٍ للتحوّل، وفتح المجال للمرور من البسيطِ الأوليّ إلى المركّب (٣) وتُعَدُّ هذه الخصائص من المقوّمات الأساس التي أهلت الخبرَ لاختراق المعارف الإسلامية، والتمثّل في أشكالها السردية المختلفة، سواءً في «مدونات العقائد، والملل والنحل، أم في الكتب الجغرافية والتاريخية، وما إليها مما يتصل بوعي الإنسان، وادراكه لمنزلته في الكون والمجتمع». (٤)

وليس من شك في أنّ الأخبار التي أُدرجت في هذه المدونات اسقط عنها الجانب الأساس الذي يمثّل العقائد الوثنيّة. أما الأجزاء المتبقية أو الراكدة، فإنّها جسّدت الجانب الذي خضع للعقائد الإسلامية. بيد أنها لم تدعن إذعائاً مطلقاً لقوانين

محورية معروفة وأخرى فرعية تفردنا بذكرها وقوام هذه الوظائف التجسد والتطهير، وبث الروح والالهام في روع الكهنة والشعراء.

كلمات مفتاحية: الارقاة، المجاورة والاندماج، العمارة الادبية، اللبن، الغنم.

Abstract:

This research seeks to reconstruct and restore the rituals of pouring and spilling among the Arabs, by studying their traces and extracting the material scattered throughout the various news and texts. To this end, the study was divided into two main phases: The first focused on the study of the narrative structures of the news, examining the modalities of construction and formation. The second phase deals with the effectiveness of correlation and integration in shaping news, redefining its contents, and directing its textual connotations in the context of the mythological tradition.

نَسَقِيَّةُ الْبِنَاءِ وَالتَّشَكُّلِ فِي الْخَبَرِ الطُّقُوسِيّ
لا يوجد بين ايدينا نص صريح يكشف عن طُقُوسِ الصَّبِّ وفحواها الميثولوجي، أو يعطي صورةً متكاملةً عنها. ومن يتحرّر النصوص والأخبار التي اشارت ضمناً الى تلك الطقوس يجدها متواشجةً مع نصوص أخرى لها مضامينها الخاصة وحمولاتها المستقلة. ويُعزى ذلك إلى الرواية الشفوية، ومط العمارة الأدبية

متوافقة تماماً مع السياق الجديد. وقد طُوعَتْ لتخدم اغراضاً محددة نذكر منها: أولاً: تقديم وصفٍ روائيٍّ للمعتقدات الدينية الجاهلية وتعليل وجودها بإعطائها رواية كيف وجدتُ وبدأتُ، للحط من قيمتها وتسفيه معتنقيها و التشنيع بهم.

ثانياً: تفصيل القول في الآيات القرآنية التي تحدثت عن الماضين من الأمم ولا سيما القصص المتعلقة بالأنبياء، والشخصيات التي استقرت رموزاً دينية أو أسطورية في وعي العرب، فقد ورد ذكرها في آيات مقتضبة تتسم بالإيجاز والإجمال. وهذا الأمر دفع المفسرين والقصاصين إلى تفصيل القول فيها بالاعتماد على ما كان متداولاً في البيئة الثقافية (الكتابية) وعلى النتف المتشظية في القصص والأساطير التي حفظتها ذاكرة الرواة.

ثالثاً: وصف الأصنام والتعريف بأسمائها، وعبادتها، وتاريخ وجودها في جزيرة العرب. وقد اعتمد الإخباريون في جمع هذه المادة وتدوينها على ذاكرة الرواة بعدما انحسرت مسألة الخوف من ارتداد العرب عن الإسلام، أو الرجوع إلى عبادة الأصنام. وكان الباعث على جمعها وتدوينها تفسير الآيات القرآنية التي ورد فيها ذكر لأصنام العرب.

رابعاً: توثيق المادة المتعلقة بأوابد العرب، وهي العادات المتأصلة التي جرت بين الوثنيين مجرى الديانات، والخرافات، وهيمنت على عقولهم

المؤسسة الدينية فقد تمكنت بعض الشذرات السردية ذات المحتد الأسطوري أن تفلت من صرامة تلك المؤسسة، لتحافظ على دلالتها الأولى، فلم تخضع كلياً للبناء الإيديولوجي أو النظام الرمزي الذي أوجد شفرته الجديدة*.

وفي داخل مسلمات هذه الحالة التي اتصفت بها المرويات الجاهلية يتعين على الباحث إعادة ترميم الطقوس بطريقة تجعلها أقرب ما يكون إلى ترتيبها الأصلي، وإن يعتمد في ذلك على ما تبديه الاخبار المتفرقة من صلة داخلية فيما بينها. (٥) وإن يقف على المكونات الفاعلة للفضاء الثقافي الذي دُونت فيه. فقد حجب أكثرها - بفعل التطويع الثقافي - خلف حاجز القرآن، والرؤية الدينية التي وجهت عملية التدوين بما يتوافق مع القيم الأخلاقية والروحية التي جاء بها الإسلام (٦) لذا يمكن وصف هذه المرويات بـ «الأخلاق السردية» فهي عبارة عن فيض سردي بالغ التوفيقية بين المأثورات الجاهلية والاقتباسات القرآنية المجذوة عن سياقاتها الأصلية، وقد جسدت جانباً من التكوينات الثقافية العامة التي خضعت لضغوط الدين، وتكيفت لحاجاته التي طمست أصول الاخبار ومضامينها الميثولوجية في مستويات عميقة داخل المجال الخاص بالوعي الإسلامي. وهذه الاكراهات جعلت المكونات الثقافية القديمة بكل دلالاتها الاخلاقية والدينية

وأفعالهم. وهذه المادةُ تمثلُ الآثارَ العالقةَ لمعتقداتٍ هجرتها العربُ في مراحلٍ سابقةٍ، وقد وردتْ في كتبِ التراثِ منتزعةً من طقوسها وشعائرها الدينيَّة. (٧) ولا سيما الأوابدُ المتصلةُ بحياةِ العربِ، كالكهانةٍ، و الحداسةِ، والرقيةِ، والتنجيسِ، والتنجيمِ. (٨) ويمكنُ تقصي هذه المادةِ في المدوناتِ الدينيَّةِ، والحوافِ التفسيريةِ للآياتِ القرآنيَّةِ التي تحدثتْ عن مصائرِ الجماعاتِ البشريَّةِ القديمةِ.

وهكذا تتضح حدود المادة التي نسعى إلى رصدِها واستخلاصِ محتواها الطقوسي، وقد تراوحت بين بُذُرِ روائيَّةٍ، وتوشيحَاتٍ تفسيريةٍ، ووحداتٍ سرديَّةٍ (قصصية) يستطيع الباحثُ الاستناد إليها في تحديدِ ملامحِ الطقوسِ، التي أسهمتْ في تكوينها، وبناءِ تفاصيلها للمعتقداتِ الجاهليةِ، ومنها الأخبارُ التي تحدثتْ عن البشاراتِ، والنبوءاتِ، والأعمالِ التي تتصلُّ بهجسِ الغيبِ وكشفِ الطالعِ. وكذلك الأخبارُ التي تحدثتْ عن أصنامِ العربِ وعبادَتِها، ودواعي تقديسِها، وتاريخِ وجودِها في جزيرةِ العربِ. ونظراً لأن هذه الأخبارُ تندرج ضمنِ الخطابِ السردِيِّ، ونظامِ الرمزيِّ، فإننا سنعتمدُ معطياتِه وقوانينِه الخاصَّةَ فضلاً عن توظيفِ مُعطَيَّاتِ المناهجِ النقديَّةِ الأخرى التي نجد فيها ما يناسبُ دراستنا في الكشفِ عن شفراتِ النصوصِ ومغاليقِها السرديةِ. وستكونُ خطواتنا على النحو الآتي:

● فك عرى الارتباط بين الاخبار والنصوص المجاورة لها واعادة ترميمها وربطها بقرائنها من الاخبار الاخرى التي تنطوي على ثيمة مشتركة. وسنعمد آليَّة الجمع والارتباط القائمة على مبدئين هما مبدأ الكلية «العلاقة بين الجزء والكل». ومبدأ الادماج «ادماج الجزء بالكل» اللذين ينجز عنهما مبدأ ثالث نستعين به عند التحليل والتأويل هو البحث عن الانسجام (١٠). وسنحاول عبر هذا الانسجام فهم محتوى الأخبار ومضامينها الطقوسية اعتماداً على ما تبديه اللغة من تعابير ودلالات. ولا مناص من الاستعانة بالألسنيَّة التاريخية، والفيلولوجيا التي من شأنها إعادة تشكيل اللغة وإظهار الطبقات الدلالية الكامنة فيها.

● التصدي لأخبار ونصوص متشابهة تقوم في أحنائها نصوص أخرى ويتجاذبها وسطان ثقافيان، هما الوسط الجاهلي المتمثل بالمووروث الثقافي القديم الذي شكل الذاكرة الجمعية، والوسط الاسلامي المتمثل بالرؤية المنبعثة من المركزية الدينية والنص المقدس. وإزاء هذا التعدد الخطابي يجد الباحث نفسه امام صورة نمطية تتطور وتتشظى وتمتد عبر مستويات تعبيرية مختلفة فقد ادى ظهور الاسلام الى اقضاء الجانب الاساس من المرويات الجاهلية؛ لأنها استثمرت سردياً العقائد القديمة، وعبرت عنها كبطانة دينية للمجتمع الجاهلي (١١)،

المذكور في هذا الخبر صنم لقبيلة مزينة. ومعنى نُهم في اللغة الشيطان (١٥). ولعل هذا المعنى يشيء بالعقائد المرتبطة بهذا الصنم، ويكشف عن الطقوس التي تؤدي في حرمه، فقد ذكرت المصادر العربية أنَّ كهنة المعابد كانوا يستعينون بالشياطين لهجس الطالع، والاخبار عن المغيبات، ويقيمون طقوساً خاصةً تتخللها ممارساتٌ واعمالٌ معينة، منها صبّ اللبن أو سقي الاصنام باللبن (١٦). وقد مارس الشعراء هذه الطقوس لغايات محددة تتعلق بالإلهام الجني. اذ زعموا أنَّ الشياطين تلقى على أفواههم الشعر، وتلقنهم إياه، وتعينهم عليه (١٧) وكانوا يقيمون لأجل ذلك طقوساً خاصةً يَبْتَدِرُونَهَا بالاغتسال والوضوء باللبن (١٨)، ولعل هذه الطقوس يمثل الجانب الادائي لأسطورة قديمة كانت تتحدث عن الإلهام وقوى الغيب. حتى اذا ما دخل العرب الاسلام، خلعوا عليها تصورات جديدة ترتبط بالعقائد الاسلامية فاذا بالصنم نهم شيطان شرير ليس له شغل سوى الغواية واستراق السمع بعد ان كان روحاً ملهمة تجلي الغيب للكهنة والشعراء، وتهدي من يضل منهم في مجاهل الفلوات (١٩)، لذا تعد مضامين هذه الاخبار من بقايا الاساطير القديمة التي تعرضت للمسح والتحريف والاندثار. وانها أخذت شكلها النهائي في مراحل متأخرة؛ لتكون مادة للتصانيف والعلوم العربية الناشئة. وما يجعل هذه الاخبار

وهذه العملية المزدوجة من الاستبعاد والاستحواذ أفضت الى إستحداث نصوص مثقفة او مهذبة يقتضي استنطاقها وإعادة بنائها، الانفتاح على سياقاتها ووسائطها المختلفة، وادراك شروط الموائمة فيها. او بتعبير اخر تجاوز قانون السياق المغلق للنص والانفتاح على سياقين او اكثر. إذ فرضت الوسائط التي ادرجت فيها وتكيفت لارغاماتها في تشكل المعاني و صياغة الدلالات في الخبر. لذلك يتوجب علينا التعامل مع هذه الاخبار كسلسلة من الترسبات او كمجموعة من الطبقات المتراصة التي تحمل في طياتها معاني عميقة اخرى ظاهرة توازي معانيها العميقة (١٢). والخبر ضمن هذه المعطيات يدخل حيز الأسطورة، ويُعد وسيطاً معرفياً ومحتوى صالحاً لها. ولعل الاخبار الآتية تكشف لنا ذلك، ومنها الخبر الذي تحدث فيه الاخباريون عن سيرة الصحابي ابي ذر الغفاري (رض) اذ جاء فيه انه ترك عبادة الاصنام عندما عاين كلباً يفرغ نجاسته على صنم يقال له: «نُهم» وقد جاء الخبر على النحو الاتي: «كان لنا صنم يقال له: نُهم فأتيته فصبيت له لبنا ووليت، فحانت مني التفاتة، فإذا كلب يشرب ذلك اللبن، فلما فرغ رفع رجله فبال على الصنم» (١٣) ذكرت الروايات الاسلامية ان هذا الحدث كان مدعاة لتكذيب ابي ذر الغفاري (رض) عبادة الاصنام والالتحاق بالإسلام (١٤). ونُهم

بن حنبل ضمن الاخبار او الروايات التي تحدثت عن اعادة بناء الكعبة اذ جاء فيها: حدثنا عبد الصمد، حدثنا ثابت يعني أبا زيد، حدثنا هلال يعني ابن خباب، عن مجاهد، عن مولاة «يعني السائب بن أبي السائب» أنه حدثه «إنه كانَ فيمن بني الكعبة في الجاهلية. قال: وَلِي حَجَرٌ أَنَا نَحْتُهُ بِيَدِي أَعْبُدُهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فَأَجِيءُ بِاللَّبَنِ الْخَاطِرِ الَّذِي أَنْفُسُهُ عَلَى نَفْسِي فَأَصُبُّهُ عَلَيْهِ فَيَجِيءُ الْكَلْبُ فَيَلْحَسُهُ ثُمَّ يُشْغَرُ فَيُؤَلِّقُ فَبَيْنَمَا حَتَّى بَلَغْنَا مَوْضِعَ الْحَجَرِ وَمَا يَرَى الْحَجَرَ أَحَدٌ فَإِذَا هُوَ وَسَطٌ حَجَارَتَنَا مِثْلُ رَأْسِ الرَّجُلِ يَكَادُ يَتَرَاءَى مِنْهُ وَجْهُ الرَّجُلِ فَقَالَ بَطْنٌ مِّنْ قُرَيْشٍ نَحْنُ نَضَعُهُ وَقَالَ آخَرُونَ نَحْنُ نَضَعُهُ فَقَالُوا اجْعَلُوا بَيْنَكُمُ حَكَمًا قَالُوا أَوَّلُ رَجُلٍ يَطْلُعُ مِنَ الْفَجِّ فَجَاءَ النَّبِيُّ (صلى الله عليه وسلم) فَقَالُوا أَتَاكُمُ الْأَمِينُ فَقَالُوا لَهُ فَوَضَعَهُ فِي ثَوْبٍ ثُمَّ دَعَا بُطُونَهُمْ فَأَخَذُوا بِثَوَابِيهِ مَعَهُ فَوَضَعَهُ هُوَ (صلى الله عليه وسلم)». (٢٣)

يكشف هذا النص - بلا مرأى - عن كفاءة الخبر وقدرته الفائقة على مجاورة اشد النصوص صلابة في المدونة العربية، وهي المنظومة الحديثية المحكومة بالأسانيد الصارمة*. فضلا عن مدونات الادب، واللغة، والتاريخ، والسير. وانما اذ نعرض هذا الخبر في سياقاته المختلفة نسعى بالدرجة الاساس الى ابراز تمثلاته فيها. ومهما يكن من شيء فقد ادى طواف

مؤهلة للتداول والانخراط في المصنفات سندها الحامل الذي اكسبها القدرة على التحول والانفتاح والترهين، لان الخبر في مفهومه العام البسيط يركز بالدرجة الاولى على الحدث الذي يحمل بالضرورة قوة التحول في اتجاهات سردية مختلفة (٢٠). وهنا يجب ان ننوه إلى قضية مهمة، وهي ان هذه التحولات لم تخرج الاخبار خروجاً كلياً عن النموذج البنائي أو الإطار التخيلي للذين كانت تخضع لهما عندما كانت متداولة شفاهياً. فمهما تصورنا حرية أولئك الذين دونوا الاخبار فلا بد لنا من الاقرار بوجود حدود وقيود لم يكن بمستطاعهم خرقها او الخروج عنها (٢١)، وقد دونت بصيغها النهائية على شكل فقرات سردية مستقلة، انتخبها اصحاب المصنفات وضمنوها فصول مدوناتهم؛ لتكون اداة فنية في بنية نصوصها السردية، ومجالاً رحباً يدعمها بالشواهد. ومن ذلك خبر ابي ذر الغفاري (رض) الذي أدرج تحت عنوانات وابواب مختلفة نذكر منها «باب من يغويهم الشيطان» الوارد في كتاب «مجمع الزوائد ومنبع الفوائد» إذ ورد فيه الخبر مرفوعاً ومسنداً للسائب ابن السائب. وجاءت روايته على النحو الاتي: «بعث معي أهلي قدح لبن وزبد إلى آلهم، فذهبت به، فلقد خفت أن أكل منه شيئاً، فوضعت، إذ جاء كلب، فشرب اللبن، وأكل الزبد، وبال على الصنم» (٢٢)، كما ورد في مُسْنَدِ احمد

التي تضمنها الخبر المتقدم بيد انها لم ترد في سياقها الطقوسي «التطهيري» بل جاءت في سياق اخر يدل على «النجاسة، والدنس» نجد ذلك في «اراقة البول على الصنم»، و«لحس الكلب للصنم». فقد تغيرت دلالة الارقاة في هذين الفعلين من «التطهير» الى «التدنيس» اذ انيط كل منهما بالكلب لنجاسته المغلظة. وللامعان في تجسيد هذه النجاسة أُستبدل بالبن بول الكلب وسؤره. لانهما - بحسب الشرع الاسلامي - من اغلظ النجاسات العينية (٢٤).

اما «الرهبه» التي عبّرت عنها الافعال «خاف، ولى، التفت» فإنها تتطوي في معانيها على نوازع النفس البشرية عندما تكون ماثلة امام الالهة او في حَظيرة «المعبد». ولكن هذه الافعال افرغت من محتواها الطقوسي، وادرجت في سياق الخطاب التهكمي الذي تضمنه الخبر* وذلك للنيل من قداسة الصنم والاستهزاء بعبادته. اما الافعال المتمثلة بلحس اللبن، والتبول على الصنم. فكانت الغاية منها الحطّ من قيمة الفعل الطقوسي «الصب والاراقة» الراسخ في وجدان الوثنيين ومعتقداتهم الدينية. لذا يمكن تمثيل وظائف الشخصيات، والحدث بنسقين متضادين يعبر احدهما عن الوسط الجاهلي، ويعبر الاخر عن الوسط الاسلامي:

الخبر في المدونات العربية الى اصطباغه بسمات النصوص التي تَمَوَّر فيها. وتجسد ذلك في وقائع الخبر، وعبارته، ووحداته النصية. وفي الشخصيات، والابطال الذين تغيرت اسمائهم تبعاً لأسانيد الخبر وسياقاته المختلفة. فقد اسند في «مجمع الزوائد»، و«مسند احمد بن حنبل» الى السائب بن السائب، ولم يرد لابي ذر الغفاري (رض) ذكر في سنديهما. وسبب ذلك ان الخبر ورد في سياقين مختلفين تحدثت احدهما عن بناء الكعبة، وتحدثت الاخر عن غواية الشيطان. وهما موردان لا ينبغي لابي ذر (رض) ان يكون سارداً او فاعلاً فيهما؛ لأنه لم يكن من اهل مكة قبل الاسلام، علاوة على ذلك انه لم يكن من اهل الغواية ليزج اسمه في هذه الاخبار او الاسانيد التي نقلتها. وهكذا تظهر لنا سطوة الاسانيد والروايات المتاخمة للخبر في تغيير اسماء الشخصيات والابطال. بيد أنّ هذا التغيير لا يتجاوز حدود الصيغ اللفظية للأسماء، فقد بقيت وظائفها وافعالها ثابتة لم تتغير. ولو تحرينا تلك الوظائف لوجدناها متمحورة في الافعال: «خاف، ولى، صب، بعث، نحت، وضع، التفت، شرب، رفع، شجر، بال، نَفَسَ، عبد، لحس»، وهذه الافعال يمكن ايجازها في معاني «المنح، والرهبه، والدنس، والخضوع» التي لها اساسها الدلالي في المصطلحات الطقوسية، ومنها الأفعال «صب، بعث، وضع»

الصب والاراقة (فعل تطهيري) → يقابله ← البول واللحس (فعل تدنيسي)
الخوف والرهبة (فعل ديني) → يقابله ← رفع الساق والتهتك (فعل ساخر)

وَهَكَذَا أَظْهَرْتَ عَمَلِيَّاتِ الْاِخْتِيَارِ، وَاعَادَةُ
التَّعْرِيفِ الْمُتَعَدِّدَةِ لِلْكَلِمَاتِ وَالْمَعَانِي،
الشَّفْرَةُ الْقَدِيمَةُ الَّتِي قَمَعْتَ بِفَعْلِ الْمَدِّ
الْإِسْلَامِيِّ، وَتَأْثِيرِ الشَّفْرَةِ النَّاشِئَةِ عَنْهُ. إِذْ
اخْتَارْتَ هَذِهِ الشَّفْرَةَ أَكْثَرَ الْمَوَادِّ الْأَصْلِيَّةِ
فِي الشَّفْرَةِ الْقَدِيمَةِ. وَبَدَأْتَ بِالْمُوَاجَهَةِ
مَعَ قِيمِهَا الْمُرَكِّزَةِ الْمُتَمَثِّلَةِ بِالْكَلِمَاتِ
وَالْمَفَاهِيمِ الَّتِي شَكَّلَتْ نِظَامَهَا الشَّامِلَ.
وَقَمَعْتَ مِنْ قَلْبِ مَعَانِيهَا، أَوْ تَبْنِي مَوْقِفًا
اِنْتِقَائِيًّا مِنْهَا، أَوْ اِمْتِصَاصَهَا بِالْكَامِلِ.
فَاعْلِيَّةُ التَّعَالُقِ وَالْإِدْمَاجِ الدَّلَالِيَّ فِي الْأَخْبَارِ
الطُّقُوسِيَّةِ.
يَقْتَضِي فَهْمُ طُقُوسِ الصَّبِّ وَالْأَرَاقَةِ تَقْصِي
الْإِشَارَاتِ وَالتَّلْمِيحَاتِ الطُّقُوسِيَّةِ الْمُبْتَوَثَةِ
فِي الْأَخْبَارِ، وَاعَادَةُ تَشْكِيلِهَا فِي مُتَوَالِيَةٍ
مُنْتَظِمَةٍ. وَمَا يَتِيحُ لَنَا ذَلِكَ قَابِلِيَّةُ
الْأَخْبَارِ عَلَى التَّرْكِيبِ وَالْإِدْمَاجِ فِيمَا
بَيْنَهَا وَلَا سِوَا الْأَخْبَارِ الَّتِي تَنْطَوِي عَلَى
ثِمَّةٍ مَحْوَرِيَّةٍ (٢٥) قَوَامِهَا التَّجَسُّدُ «تَحْوُلُ
الْحَجَارَةِ إِلَى إِلَهَةٍ»، وَثِمَّةٌ فَرْعِيَّةٌ أَسَاسُهَا
التَّطْهِيرُ «أَرَاقَةُ اللَّبَنِ عَلَى الْأَصْنَامِ»؛ لِذَلِكَ
سَنَنْتَخِبُ مِنْ هَذِهِ الْأَخْبَارِ مَا جَاءَ فِي ذِكْرِ
صَخْرَةِ اللَّاتِ، وَمِنْهَا: «أَنَّ اللَّاتَ كَانَ رَجُلًا
يَلْتُمُ السَّوِيقَ لِلْحَاجِّ فَلَمَّا مَاتَ عَكَفُوا
عَلَى قَبْرِهِ فَعَبَدُوهُ. وَكَانَ يَبِيعُ السَّوِيقَ
وَالسَّمْنَ عِنْدَ صَخْرَةٍ وَيَصُبُّهُ عَلَيْهَا، فَلَمَّا
مَاتَ ذَلِكَ الرَّجُلُ عَبَدَتْ ثَقِيفٌ ذَلِكَ
الصَّخْرَةَ إِعْظَامًا لِصَاحِبِ السَّوِيقِ. وَقِيلَ:

إِنَّمَا كَانَ رَجُلًا بِالطَّائِفِ فَكَانَ يَقُومُ عَلَى
أَلْهَتِهِمْ وَيَلْتُمُ لَهُمُ السَّوِيقَ فَلَمَّا مَاتَ
عَبَدُوهُ. وَقَالَ مُجَاهِدٌ: كَانَ رَجُلٌ فِي رَأْسِ
جَبَلٍ لَهُ غَنِيمَةٌ يَسْلِي مِنْهَا السَّمْنَ وَيَأْخُذُ
مِنْهَا الْأَقِطَ وَيَجْمَعُ رِسْلَهَا، ثُمَّ يَتَّخِذُ مِنْهَا
حَيْسًا فَيُطْعِمُ الْحَاجَّ» (٢٦). «إِنَّ اللَّاتَ
كَانَ رَجُلًا مُحْسِنًا يَعْنِي الْعَجِينَ لِلْحَجَّاجِ
وَيُطْعِمُهُمْ إِكْرَامًا لَهُمْ، فَلَمَّا مَاتَ عَظَّمُوهُ
وَعَكَفُوا عَلَى قَبْرِهِ ثُمَّ جَعَلُوهُ إِلَهًا. وَقِيلَ
إِنَّ اسْمَ هَذَا الرَّجُلِ صَرْمَةُ بْنُ غَنَمٍ» (٢٧).
وَفِي خَبَرٍ آخَرَ: «الَّلَاتُ صَخْرَةٌ بَيْضَاءُ
مَنْقُوشَةٌ، عَلَيْهَا بَيْتٌ بِالطَّائِفِ لَهُ أَسْتَارٌ
وَسَدَنَةٌ، وَحَوْلَهَا فَنَاءٌ مُعْظَمٌ». (٢٨) وَقِيلَ
:«الَّلَاتُ، فِي الْأَصْلِ صَخْرَةٌ كَانَ يَجْلِسُ
عَلَيْهَا رَجُلٌ، يَبِيعُ السَّمْنَ وَاللَّبْنَ لِلْحَجَّاجِ
فِي الزَّمَنِ الْأَوَّلِ، وَإِنَّ الصَّخْرَةَ سُمِّيَتْ بِاللَّاتِ؛
لِأَنَّ عَمْرُو بْنَ لَحْيٍ كَانَ يَلْتُمُ عِنْدَهَا
السَّوِيقَ لِلْحَجَّاجِ عَلَى تِلْكَ الصَّخْرَةِ، وَقَالُوا:
بَلْ كَانَتْ اللَّاتُ فِي الْأَصْلِ رَجُلًا مِنْ ثَقِيفٍ.
فَلَمَّا مَاتَ، قَالَ لَهُمْ عَمْرُو بْنُ لَحْيٍ: لَمْ
يَمُتْ، وَلَكِنْ دَخَلَ فِي الصَّخْرَةِ، ثُمَّ أَمَرَ
بِعِبَادَتِهَا، وَأَنْ يَبْنُوا بُيُوتًا يُسَمَّى اللَّاتُ»
(٢٩) وَقَالُوا أَيْضًا: «كَانَ فِي اللَّاتِ وَفِي
الْعَزَى شَيْطَانَانِ يَكْلِمَانِ النَّاسَ، فَاتَّخَذَتْهَا
ثَقِيفٌ طَاغُوتًا وَبَنَتْ لَهَا بَيْتًا، وَجَعَلَتْ لَهُ
سُدَنَةً، وَعَظَّمَتْهُ، وَطَافَتْ بِهِ» (٣٠) وَقِيلَ
أَنْ: اللَّاتُ كَانَ عَلَى صُورَةِ ذَاكَ الرَّجُلِ الَّذِي
قُبِرَ تَحْتَهُ، وَهُوَ الَّذِي كَانَ يَلْتُمُ السَّوِيقَ

(٣١)

تستند هذه الاخبار الى عناصر مستوحاة من الاساطير والحكايات الشعبية. لذا تتلاشى فيها الحدود الفاصلة بين الواقع والخيال. وَمِنْ طَبِيعَةِ هَذِهِ الْأَخْبَارِ أَنَهَا تَكْتَسِي بِغِلَالَةٍ خَارِجِيَّةٍ تَجْعَلُهَا غَيْرَ قَابِلٍ لِلتَّصْدِيقِ، كَأَن تَتَكَلَّمُ الْحَيَوَانَاتُ أَوْ يَنْقَلِبُ الْإِنْسَانُ حَجَرًا وَالْحَجَرُ يَغْدُو إِنْسَانًا (٣٢)، ولكنها في الوقت نفسه تؤدي رسالة ضمنية تعلل فيها ظاهرة معينة، ومن ثمّ تتميز هذه الاخبار بانشقاقها الداخلي بين ما تتظاهر بقوله، وما تريد تسريبه ضمناً (٣٣).

لا شك أن هذه الأخبار اذت وظيفة تحليلية في المقام الأول، لأنها فسّرت أصل صخرة اللات وكشفت عن المعتقدات الدينية المرتبطة بها. فضلاً عن ذلك انها عبّرت عن مرحلة من مراحل الوثنية التي كان يدين فيها العرب للأصنام المصورة على هيئة الإنسان فقد كانوا قبل ذلك يقدسون الأنصاب، او الحجارة البكر غير المجسمة. (٣٤)

وما يجذب انتباهنا في هذه الاخبار انها حملت في طياتها سر وجود صخرة اللات وما يتصل بها من طقوس دينية فقد تضمنت اشارات رمزية لطقوس الصب والاراقة يمكن رصدها في سياق التعابير اللغوية المشتملة على الكلمات «غنم، يلت، يصب، صخرة، حجيح، بيضاء، لبن» وغيرها من الكلمات والمفاهيم

التي تشكّل المفاتيح الثقافية المتعددة للقيم الدينية «الطقوسية» والتي يتطلب فهمها فحص عمليات الاختيار واعادة التعريف المتعددة التي فرضتها السياقات الثقافية المختلفة، وادت الى خروجها من محيط نقل الرموز عن منظومة المعتقدات القديمة او القيم الطقوسية التي تكتنفها اللغة نفسها. فقد اوجدت الشفرة الجديدة في نظام قيمها الشامل طريقها الى قلب قيم الشفرة القديمة، سواء أكان بقلب معانيها الاصلية، ام تبني موقفاً انتقائياً منها، فكلمة (غنم) التي لها اساسها الدلالي في مصطلحات الصب والاراقة، اعيد تعريفها لتكون اسماً لبائع اللبن او الروح التي حلت في صخرة اللات. واعيد تعريف صخرة اللات لتكون مُتَّكأً او دَكَّةً يُلْت عليها السوق و يُباع فوقها السمن واللبن. وهذه التحولات المربكة لها دلالتها التأويلية العميقة، التي تضعنا ازاء تفسيرات جديدة للفعل (يلت) الذي ينطوي في معناه القديم على دلالة (الطواف) إذ يحيل المعنى اللغوي للفعل (يلت) الى مناسك الطواف التي كان يؤديها الوثنيون بعد اتمام طقوس الصب والاراقة. وقد اشارت الى هذا المعنى معاجم اللغة وشروحات الأخبار التي تحدثت عن صخرة اللات اذ جاء فيها انها سميت لآتاً، من لوى؛ لأنهم كانوا يلون عليها، أي يطوفون، ويعتكفون للعبادة عندها وحين نؤول مشهد صب اللبن

يجري على معظم الموجودات والأشياء التي خلع عليها العرب صفة القداسة ومنها الألبسة التي كان يتزيا بها الكهنة وسدنة المعابد حين يؤدون طقوس الأراقة وتقدمة القرابين فقد كانت بيضاء كالحليب.

أما وظيفة بائع اللبن المتمثلة بإطعام الحجيح وسقيهم باللبن، فإنها تقترب كثيراً من وظيفة السادن، أو الموكل بتقديم القرابين للآلهة، وقد انيطت هذه المهمة بشخصية مبهمة أطلق عليها الاخباريون اسم (صرمة) وهذا الاسم يحتمل معان كثيرة منها: سبيكة الفضة (٣٨) أو البياض الناصع وما يجعلنا نجتهد في اختيار هذا المعنى وتأصيله أن كلمة (صرمة) لها أصل قديم في اللغة السبئية نجده في كلمة (صرفن) التي تعني الفضة (٣٩) ونعتقد أن هذه الكلمة عَشِيهَا التغير بفعل التواصل اللغوي وَمَجَال اللغة الذي ادرجت فيه، واسقطت على اثره أداة التعريف السبئية (النون) وعوض عنها تاء التأنيث المربوطة، واستبدلت الميم بالفاء لتقارب مخرجيهما. وهنا لا بد من الإشارة إلى مسألة مهمة وهي أن كلمة (صرمة أو صرفن) تساق في كلام العرب لوصف الأشياء البيضاء كقولهم: اللبْنُ الصَّرِيفُ كما تساق كلمة فضة في اللغة لوصف كل ما هو أبيض براق (٤٠). ومن ذلك قوله تعالى: «قَوَارِيرَ مِنْ فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا» (٤١) إذ قال المفسرون

الوارد في أخبار اللات فإن الفعل (يصب) يشير بلا مواربة إلى الصب الشعائري، وهو ضمن هذا السياق مكافئ وظيفي لفعل الأراقة المتمثل بسكب اللبن على الصنم. وما يتيح لنا الإقرار بهذا التكافؤ هو المعنى الذي تختزنه كلمة صب و (مُصَبَّتًا) في اللغات السامية القديمة فهي تعني الصباغة وتطلق على طقوس التعميد والتطهير بالماء الجاري (٣٥). ومن منظور سيميولوجي يمكن تفسير هذا الاصطباغ أو التلون بدخول بائع اللبن في الصخرة وحلوله فيها. وهناك أكثر من الماعة تفضي بنا من ولوج الصخرة إلى اصباغ الصخرة تأتي لنا عبر دلالة اللون الأبيض، ووظيفة بائع اللبن فقد رسخ في أذهان العرب وتصوراتهم الدينية القديمة أن اللون الأبيض هو الذي يمنح الأصنام قداستها وصفاتها الدينية. لذلك؛ آثروا الصخور البيضاء على غيرها وجعلوها مهبطاً لوحي الهتهم ونسكاً لطوافهم، لاعتقادهم بوجود علاقة وارتباط بين اللون الأبيض ولبن الأغنام (٣٦). ولدينا من الإشارات ما يؤكد ذلك، منها ما ورد في قول العرب: «كنا نعبد الحجر في الجاهلية، فإذا وجدنا حجراً هو أحسن منه، ألقينا ذلك وأخذناه، فإذا لم نجد حجراً جمعنا حثية من تراب ثم جئنا بغنم فحلبناها عليه ثم طفنا به» (٣٧) ومعنى ذلك أن التراب استمد صفة القداسة من لبن الغنم، وهذا الاعتقاد

«على صفاء القوارير، وبياض الفضة» (٤٢)

وبالعودة إلى معاجم اللغة، نجد اضطراباً في تحديد معنى اسم «صرمة بن غنم» وهويته، فهناك من يوصل معنى (صرمة) بالفصيل او القطيع على نحو ما قالت العرب: «صِرْمَةٌ مِنَ الْغَنَمِ وَالْإِبِلِ» (٤٣) وهناك من يرى ان اسم (صِرْمَةٌ) منقول عن صفة لحقت برجل من ثقيف كان يرعى الغنم في رأس الجبل او على صخرة بالطائف. وقد اجتهد العلماء في تأصيل هذا المعنى ومنهم الثعلبي الذي قال: «هو رجل من ثقيف يقال له صرمة غنم» (٤٤). فلعل العبارة صرمة غنم، هي الأصل، ثم اشتقوا منها اسم الشخص صرمة بن غنم. وهذا الاضطراب في تحديد معنى الاسم يفرض علينا توسيع دائرته المعجمية ومحيطه الدلالي. وما يتيح لنا ذلك سعة القرائن والاحالات المرتبطة به، ومنها اقتران اسم صرمة بسدانة الاصنام والكهانة، فقد ذكرت الروايات والابخار ان سدانة الاصنام ومنها العزى كانت في بني صرمة بن مرّة. والعزى في معتقدات العرب وتصوراتهم الوثنية أمّ لها ابنتان، هما اللات ومناة، وهو أمر يجعلنا نفترض وجود رابطة بين صرمة بن غنم، وبني صرمة بن مرّة، لورودهما في سياق اسطوري واحد، وهو سياق الصب والتقدمة للاصنام البيض التي يطلق عليها اسم الغرائق، وبنات

الله وهن «اللات والعزى ومناة». لذلك، لا نستبعد أن يكون «صرمة بن غنم» هو الكاهن الموكل بطقوس الصب والإراقة على تلك الاصنام. ومن المحتمل أن يكون الاسم الذي يحمله هذا الكاهن يمثل لقباً أو مرتبة دينية كانت تُمنح للأشخاص الذين يتولون خدمة الغرائق وسدانتها في المعابد. وقد عرف هؤلاء السدنة بصفة البياض نتيجة للألبسة التي يتزيّون بها، اذ كانت جزءاً من اللباس الديني (٤٥) الذي يجسد لون الاصنام والالهة او الارواح التي تسكنها.

والغرائق واحدها غرنوق وغرنيق، ومعناه الابيض، سمي به طائر الكركي لبياضه وحسن صورته. (٤٦) وكانت قريش تردد اسماء الغرائق في طوافها حول الكعبة اذ تقول: «واللات والعزى، ومناة الثالثة الأخرى. فإنهن الغرائق العلا، وإن شفاعتهن لترجى» (٤٧) ولم تتفرد قريش بتقديس (الغرائق) او الاصنام البيضاء، فقد كانت معظم الاصنام والانصاب المقدسة عند العرب بيضاء اللون ولها علاقة بالأغنام والبانها. ومعنى اخر كل ما يتصل بعقائد العرب وتصوراتهم الدينية (الوثنية) مرتبط ارتباطاً وثيقاً باللبن. لذلك نستطيع القول ان طقوس الصب و التوشیحات الحكائيّة المتصلة بها هي من الرموز التأسيسية الكبرى للثقافة العربية وان الوقوف على شفراتها يضع بين ايدينا مفاتيح ناجزة لفهم نقدي

لهذه الثقافة والوعي بشروط مواءمة الميثولوجيا فيها، ويتجلى ذلك في النصوص التي تحدثت عن إعادة حفر بئر زمزم فقد صورت موضع البئر على هيئة الشدي او العين المتدفقة بالحليب، اذ جاء في اخبار حفرها أَنَّ هَاتِفًا اتى عبد المطلب في المنام يقول له : «احفر زمزم خبئه الشيخ الاعظم .فاستيقظ فقال اللهم بين لي ،فأتى في المنام مرة اخرى ف قيل له: احفر زمزم بين الفرث والدم عند نقرة الغراب في قرية النمل مستقبلة الاصنام الحُمر» (٤٨) وهذا الوصف الذي حدد فيه الهاتف موضع زمزم ليس ببعيد عن التعابير اللغوية التي وصفت موضع خروج واستخلاص اللبن من الأنعام فقد جاء في قوله تعالى: «وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ مِنْ بَيْنِ قَرْنٍ وَدَمٍ لَبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ » (٤٩) ويحملنا تشبيه بئر زمزم بمحالب الانعام على ايجاد سياق شعائري يجمع الماء باللبن. وقد تحقق لنا ذلك في شعائر السقاية التي كان يؤديها سدنة الكعبة في اوقات معلومة ،يجمعون فيها اللبن ويخلطونه بماء زمزم ويبدلونه للحجيج (٥٠)، وقد اتخذ السدنة لهذا الغرض احواضا من آدم ضربوا عليها قبابا ،فاذا فرغ الحجيج من السقاية حملوا معهم من تلك المياه في الأداوى والقرب ما يستشفون به ،فقد دأب العرب على صب ماء زمزم المداف باللبن على اجساد المرضى وعلى اركان

الكعبة ومواضع الطواف فيها (٥١)، وهذا النوع من الصب الشعائري كانت تؤديه العرب في مناسبات عدة، كعقد المعاهدات والاحلاف وغير ذلك. فقد ذكرت المدونات العربية ان حلف الفضول الذي عقد في مكة «عمدت فيه قريش بعد ابرام الحلف إلى ماء من ماء زمزم فجعلوه في جفنة، ثم بعثوا به إلى البيت فغسلت به أركانه، ثم أتوا به فشربه»(٥٢) ويبدو من سياق الروايات والنصوص الشعرية القديمة أَنَّ عرب الجاهلية جعلوا لكل مناسبة شراباً يناسب مرادهم و يُلبِّي رغباتهم ويرضي آلهتهم، ولم يكتفوا بالأشربة بل عمدوا الى اراقة دم الاضاحي على جدران الكعبة وانصابها.

((الخاتمة))

من أهم النتائج التي توصل اليها الباحث :

● ان طقوس الصب والاخبار المتصلة بها هي من الرموز التأسيسية الكبرى للثقافة العربية وان تحليلها وفك شفراتها يضع بين ايدينا مفاتيح ناجزة لفهم هذه الثقافة والوعي بشروط مواءمة الميثولوجيا فيها.

● إِنَّ مقولة النسق تحدد الكيفية التي تتشكل فيها البنيات العامة لطقوس الصب، وقد تمثلت في البنية الصغرى او الخبر الذي يرتبط ببنيات أخرى عبر علاقات لغوية ودلالية. وما يتيح ذلك

محورية قوامها التجسد او تحول الحجارة الى إلهة، وثيمة فرعية اساسها التطهير «اراقة اللبن على الاصنام».

صيغة الخبر الموجزة، ولغته الحيوية التي تجعله طبعاً ومنساقاً لعملية والاندماج والتماهي مع نصوص أخرى.

● ان معظم الاصنام والانصاب المقدسة عند العرب بيضاء اللون ولها علاقة بالأغنام والبانها. ومعنى اخر كل ما يتصل بعقائد العرب وتصوراتهم الدينية (الوثنية) مرتبط ارتباطاً وثيقاً باللبن.

● تؤدي طقوس الصب والإراقة مجموعة من الوظائف الدينية، مثل التطهير والإلهام، وقد تُمارس لطلب الشفاعة. وكان الكهان والشعراء يؤدون هذا الطقس لطلب الوحي الجنّي وتلقي الإلهام الشعري.

● استطاع الباحث ان يرمم بقايا طقوس الصّب، ويعيد صياغة شذراتها السردية المتشظية، ويحيي حبكتها الميتة.

● توصل الباحث إلى فك رموز بعض الأسماء والوقوف على اصولها التاريخية والدينية القديمة.

● ان مضامين الاخبار الطقوسية هي من بقايا الاساطير القديمة التي تعرضت للمسح والتحريف والاندثار. وانها أخذت شكلها النهائي في مراحل متأخرة؛ لتكون مادة للتصانيف والعلوم العربية الناشئة. وما جعل هذه الاخبار مؤهلة للتداول والانخراط في المصنفات سندها الحامل الذي اكسبها القدرة على التحول والانفتاح والترهين.

● تنطوي طقوس الصّب على ثيمة

المصادر:

- (١) ينظر: الشيطان والعرش رحلة النبي سليمان إلى اليمن، فاضل الربيعي، مطبعة رياض الريس، بيروت ط١، نيسان - إبريل، ١٩٩٦م: ١٣٦
- (٢) ينظر: الكلام والخبر - مقدمة للسرد العربي، سعيد يقطين، مركز الثقافي العربي ط١، بيروت/ الدار البيضاء ١٩٩٧م: ١٩٥
- (٣) ينظر: الخبر في السرد العربي - الثوابت والمتغيرات، سعيد جبار، شركة النشر والتوزيع- المدارس ط١، الدار البيضاء ٢٠٠٤م: ١٣٥ - ١٣٦
- * تعد القصص الشعبية صورة حية للنصوص التي تمثلت بها نصوص أخرى أو تداخلت معها. وهي كما يرى عبد الله إبراهيم قائمة في تشكيلها على نقض التراتب وانتخاب الرموز التي كثيرا ما يشحنها العقل الجمعي برغبات العامة وإسقاطاتها. موسوعة السرد العربي، د. عبد الله إبراهيم، المؤسسة العربية للدراسات والنشر - طبعة موسمة، بيروت - لبنان ٢٠٠٨م: ٢٤٧/١.
- (٤) موسوعة أساطير العرب عن الجاهلية ودلالاتها، د. محمد عجينة، دار الفارابي، بيروت- لبنان ١٩٩٤م: ٩
- * من أمثلة ذلك، النصوص التي تحدثت عن أبي رغال، الصنم الذي نظرت إليه العرب باحتقار وازدراء وظل مرجوما عندها إلى الأبد.
- (٥) ينظر: الأسطورة والمعنى، دراسات في الميثولوجيا والديانات المشرقية، فراس السواح، دار علاء الدين ط٢، دمشق ٢٠٠١م: ١٤٧.
- (٦) ينظر: موسوعة السرد العربي: ١/ ٧٩
- (٧) ينظر: أوابد العرب، رشيد الخديري، المجلة العربية- مجلة شهرية ثقافية، المملكة العربية السعودية، صفر ١٤٣٦هـ العدد (٤٥٧) السبت (٢٠١٤/١١/٢٢)
- (٨) المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، د. جواد علي، دار الساقية، ط٤، بيروت ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١م: ٣٣١/١٢
- (٩) موسوعة أساطير العرب عن الجاهلية ودلالاتها: ١/ ٧٤
- (١٠) المصدر نفسه: ١/ ١١٢
- (١١) ينظر: موسوعة السرد العربي: ١/ ١٠٩
- (١٢) ينظر: موسوعة أساطير العرب عن الجاهلية ودلالاتها: ١/ ١١١
- (١٣) الإصابة في تمييز الصحابة، أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تح: عادل أحمد عبد الموجود وعلى محمد معوض، الناشر: دار الكتب العلمية ط١، بيروت ١٤١٥ هـ: ٨/ ٣٨٧
- (١٤) المصدر نفسه: ٨/ ٣٨٧
- (١٥) نهم: شيطان أو صنم كان لمزينة. ينظر: المحكم والمحيط الأعظم، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي، تح عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية ط١، بيروت ٢٠٠٠م: ٣٣٧/٤
- (١٦) ينظر: القرابين في الشعر الجاهلي، أحمد محمود جمعة أبو الهيجا، اطروحة دكتوراه، كلية الدراسات العليا، جامعة النجاح الوطنية، نابلس - فلسطين ٢٠١٨م: ٨١
- (١٧) المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام: ١٢/ ٣٠٩ - ٣١١
- (١٨) الهام الخلق الفني، محمد ياسر شريف، مجلة فصول، الهيئة المصرية العامة للكتاب - القاهرة: ١/ مج ١٠، ع ١ - ٢، يوليو ١٩٩١م: ٢٨
- (١٩) ينظر: شياطين الشعراء - دراسة تاريخية نقدية مقارنة تستعين بعلم النفس، د. عبد الرزاق حميدة، مكتبة الانجلو المصرية - مطبعة الرسالة، القاهرة ١٩٥٦م: ٥٧

عبد الوهاب شعلان: تحتفي معظم النصوص السردية العربية بمقدمة إسنادية، تحرص على ثباتها طيلة المسار السردى للنص. وتتنوع الصيغ الإسنادية من نص إلى آخر، وأحياناً داخل النص الواحد؛ إذ نعثر على صيغة: «بلغني أيها الملك السعيد» في «ألف ليلة وليلة»، و«زعموا» في «كليلة ودمنة»، وحدثنا عيسى بن هشام- وهذه هي الصيغة الغالبة- في مقامات بديع الزمان الهمذاني، وصيغ إسنادية متعددة في البخلاء للجاحظ.

(٢٤) ينظر: المفاتيح في شرح المصابيح، الحسين بن محمود بن الحسن، مظهر الدين الزيّداني، تح: لجنة مختصة من المحققين بإشراف: نور الدين طالب، الناشر: دار النوادر- وزارة الأوقاف الكويتية ط ١، الكويت ٢٠١٢م: ١/ ٤٣٤

* ذكرت بعض المصادر والمدونات الإسلامية ان النبي(ص) كان إذا أراد أن يتبسم قال لابي ذر يا أبا ذر حدثني ببدء إسلامك فيسرد له ابو ذر (رض) قصته مع الصنم نهم. ينظر: الاصابة في تميز الصحابة: ٣٨٧/٨

(٢٥) ينظر: الخبر في السرد العربي - الثوابت والمتغيرات : ٢٣٤

(٢٦) الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله، محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، تح أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية ط ٢ - القاهرة ١٩٦٤م: ١٧/ ١٠٠

(٢٧) ينظر: إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، أبو العباس شهاب الدين القسطلاني، المطبعة الكبرى الأميرية ط ٧، مصر ١٣٢٣ هـ: ٣٦١/٧

(٢٨) تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، دمشق، تح سامي بن محمد

(٢٠) ينظر: الخبر في السرد العربي - الثوابت والمتغيرات: ١٣٦/١٣٥

(٢١) ينظر: الخبر في الأدب العربي دراسة في السردية العربية، محمد القاضي، أطروحة دكتوراه دولة (منشورة)، كلية الآداب، جامعة منوبة، تونس، دار الغرب الإسلامي، ط ١، بيروت- لبنان ١٩٩٨م: ١٣٦

(٢٢) مَجْمَعُ الرِّوَايَةِ وَمَنْبُغُ الْقَوَائِدِ، أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي، تح حسين سليم أسد الداراني، دَارُ الْمَأْمُون لِلنَّطْرِ، دمشق: ١٩٨/٢. والمعجم الكبير، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني، تح حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة ابن تيمية ط ٢ - القاهرة ١٩٩٤ م: ١٩٣/٧

(٢٣) مسند الإمام أحمد بن حنبل، الإمام أحمد بن حنبل، تح شعيب الأرناؤوط - عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة ط ١، ١٤٢١هـ- ٢٠٠١م: ٢٦٢/٢٤

* «ان الاسناد آلية سردية، يحرص المؤلف على تواترها في النص استجابة لنزوع ثقافي عربي يؤثر الصدق والواقعية، فالخبر لا يعترف به الا اذا كان الذي يبلغه معروفاً بالصدق والعدالة، بل إن الخبر الذي تتوافر فيه الشروط المطلوبة هو الخبر الذي يبلغه عدة رواة لا يتعارفون ومن ثم لم يتفقوا على إذاعة خبر كاذب. فهاجس الاسناد الاساس هو الاقناع بصدق الكلام وحقيقة الحدث» السرد العربي القديم البنية السوسيو ثقافية والخصوصيات الجمالية، عبد الوهاب شعلان، مجلة الموقف العربي، دمشق، اتحاد الكتاب، ع ٤١٢، س ٣٥، آب ٢٠٠٥م. وقد ذكر

- السلامة، دار طبية للنشر والتوزيع ط٢، الرياض - السعودية ١٩٩٩ م : ٧/ ٤٥٥
- (٢٩) المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام: ١١/ ٢٢٩
- (٣٠) مطالع الأنوار على صحاح الآثار، إبراهيم بن يوسف بن أدهم الوهراني الحمزي، أبو إسحاق ابن قرقول، تح: دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث ط ١، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية - دولة قطر ٢٠١٢ : ٣/ ٤٨١
- (٣١) ينظر: تفسير إبي السعود - إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى، دار إحياء التراث العربي ط ١ - بيروت (د.ت): ٨/ ١٥٨
- (٣٢) موسوعة أساطير العرب عن الجاهلية ودلالاتها: ١/ ٢٤٥
- (٣٣) ينظر: العرب والغصن الذهبي، إعادة بناء الأسطورة العربية، ياروسلاف ستيتكيفيتش، ترجمة سعيد الغامهي، المركز الثقافي العربي، ط١، بيروت - ٢٠٠٥ م: ١٦
- (٣٤) ينظر: موسوعة أساطير العرب عن الجاهلية ودلالاتها: ٢٤٩
- (٣٥) ينظر: المصتبأ، دراسة تحليلية لاهوتية لبعض رموز التعميد المندائي، الترميذا علاء كاظم نشمي، مندي طائفة المندائيين، بغداد ١٩٩٨ م: ٥
- (٣٦) الاساطير العربية قبل الاسلام، محمد عبد المعيد خان، مطبعة لجنة التأليف والترجمة، القاهرة ١٩٣٧ : ٩٨
- (٣٧) زاد المعاد في هدي خير العباد، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية، دار عطاءات العلم ط ٣، الرياض ٢٠١٩ م : ٣/ ٧٧١
- (٣٨) تاج العروس من جواهر القاموس، محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، تح جماعة من المختصين، وزارة الإرشاد والأنباء في الكويت - المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ١٩٦٥ - ٢٠٠١ م : ٣٢/ ٥٠٦
- (٣٩) المختصر في علم اللغة العربية الجنوبية القديمة، اغناطيوس غويدي، مطبعة السناتو، القاهرة ١٩٣٠ م : ١٩
- (٤٠) تاج العروس من جواهر القاموس: ٢٤/ ١٠
- (٤١) (الإنسان - ١٦)
- (٤٢) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، تح عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان ط ١، القاهرة ٢٠٠١ م : ٢٣/ ٥٥٧
- (٤٣) لسان العرب، محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور، الحواشي: ليازجي وجماعة من اللغويين، دار صادر ط ٣، بيروت ١٤١٤ هـ: ١٢/ ٣٣٨
- (٤٤) الكشف والبيان عن تفسير القرآن، أبو إسحاق أحمد بن إبراهيم الثعلبي، شرف على إخراجه: صلاح باعثمان، وآخرون، تح مجموعة من الباحثين، دار التفسير ط ١، جدة - المملكة العربية السعودية ٢٠١٥ م: ٢٥/ ١١٩
- (٤٥) ينظر : المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام ١١/ ٣٧٤
- (٤٦) ينظر: لسان العرب : ١٠/ ٢٨٧
- (٤٧) خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب ، عبد القادر بن عمر البغدادي، شرح وتحقيق عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي ط ٤، القاهرة ١٩٩٧ م : ٧/ ٢٢٥
- (٤٨) السيرة النبوية لابن هشام، عبد الملك بن

ثبت المظان :

● القرآن الكريم .

●الاساطير العربية قبل الاسلام، محمد عبد المعيد خان ،مطبعة لجنة التأليف والترجمة، القاهرة ١٩٣٧.

●الأسطورة والمعنى ،دراسات في الميثولوجيا والديانات المشرقية ،فراس السواح ،دار علاء الدين ،ط٢، دمشق ٢٠٠١م.

●أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه، أبو عبد الله محمد بن إسحاق بن العباس الفاكهي المكي، دراسة وتحقيق: عبد الملك بن عبد الله بن دهبش، دار خضر ط٢ ، بيروت ١٩٩٤م.

●إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، أبو العباس شهاب الدين القسطلاني، المطبعة الكبرى الأميرية ط٧، مصر ١٣٢٣ هـ.

● الإصابة في تمييز الصحابة، أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تح: عادل أحمد عبد الموجود وعلى محمد معوض، الناشر: دار الكتب العلمية ط١ ، بيروت ١٤١٥ هـ.

● تاج العروس من جواهر القاموس، محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، تح جماعة من المختصين، وزارة الإرشاد والأبناء في الكويت - المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ١٩٦٥ - ٢٠٠١ م

●التاريخ الكبير، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، دائرة المعارف العثمانية، طبع تحت مراقبة: محمد عبد المعيد خان، حيدر آباد، الدكن -الهند.

● تاريخ مكة المشرفة والمسجد الحرام والمدينة الشريفة والقبر الشريف، محمد بن أحمد بن الضياء، تح علاء إبراهيم، أيمن نصر، دار الكتب العلمية ط٢ ، بيروت - لبنان ٢٠٠٤م.

هشام بن أيوب الحميري المعافري، تح طه عبد الرؤوف سعد، شركة الطباعة الفنية المتحدة، مصر ١٩٩٣م :١/١٣٢

(٤٩) النحل / ٦٦

(٥٠) ينظر: تاريخ مكة المشرفة والمسجد الحرام والمدينة الشريفة والقبر الشريف، محمد بن أحمد بن الضياء، تح علاء إبراهيم، أيمن نصر، دار الكتب العلمية ط٢ ، بيروت / لبنان ٢٠٠٤ : ٦٨:

(٥١) التاريخ الكبير، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، دائرة المعارف العثمانية، طبع تحت مراقبة: محمد عبد المعيد خان، حيدر آباد، الدكن -الهند : ١٨٩/٣ (٥٢) أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه، أبو عبد الله محمد بن إسحاق بن العباس الفاكهي المكي، دراسة وتحقيق: عبد الملك بن عبد الله بن دهبش، دار خضر ط٢ ، بيروت ١٩٩٤ م : ١٩١/٥

- تفسير ابي السعود - إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى، دار إحياء التراث العربي - بيروت.
- تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثيرالدمشقي، تح سامي بن محمد السلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع ط٢،الرياض - السعودية ١٩٩٩ م.
- جامع البيان عن تأويل آي القرآن، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، تح عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان ط١، القاهرة ٢٠٠١ م.
- الجامع لأحكام القرآن،أبو عبد الله، محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، تح أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية ط٢ - القاهرة ١٩٦٤م.
- الخبر في الأدب العربي دراسة في السردية العربية،د.محمد القاضي، أطروحة دكتوراه دولة (منشورة)،كلية الآداب ، جامعة منوبة،تونس،دار الغرب الإسلامي،ط١،بيروت- لبنان ١٩٩٨م
- الخبر في السرد العربي - الثوابت والمتغيرات، سعيد جبار، شركة النشر والتوزيع-المدارس ط١،الدار البيضاء ٢٠٠٤م.
- خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب ، عبد القادر بن عمر البغدادي،شرح وتحقيق عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي ط٤،القاهرة ١٩٩٧م.
- زاد المعاد في هدي خير العباد ،أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية، دار عطاءات العلم ط٣،الرياض ٢٠١٩ م.
- السيرة النبوية لابن هشام، عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري،تح طه عبد
- الرهوف سعد، شركة الطباعة الفنية المتحدة ،مصر ١٩٩٣م.
- الشيطان والعرش رحلة النبي سليمان إلى اليمن ،فاضل الربيعي، مطبعة رياض الرئيس، بيروت ط١،نيسان - ابريل،١٩٩٦م
- شياطين الشعراء - دراسة تاريخية نقدية مقارنة تستعين بعلم النفس، د. عبد الرزاق حميدة ، مكتبة الانجلو المصرية - مطبعة الرسالة ، القاهرة ١٩٥٦م.
- العرب والغصن الذهبي، إعادة بناء الأسطورة العربية، ياروسلاف ستيتكيفيتش، ترجمة سعيد الغامبي، المركز الثقافي العربي،ط١،بيروت ٢٠٠٥م.
- القرابين في الشعر الجاهلي،احمد محمود جمعة ابو الهيجا، اطروحة دكتوراه، كلية الدراسات العليا، جامعة النجاح الوطنية، نابلس - فلسطين ٢٠١٨م.
- الكشف والبيان عن تفسير القرآن، أبو إسحاق أحمد بن إبراهيم الثعلبي، شرف على إخراج: صلاح باعثمان، وآخرون، تح مجموعة من الباحثين،دار التفسير ط ١، جدة - المملكة العربية السعودية ٢٠١٥م.
- الكلام والخبر - مقدمة للسرد العربي، سعيد يقطين، مركز الثقافي العربي ط١،بيروت/ الدار البيضاء ١٩٩٧م.
- لسان العرب، محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور، الحواشي: لليازجي وجماعة من اللغويين، دار صادر ط٣، بيروت ١٤١٤هـ
- المحكم والمحيط الاعظم ، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي،تح عبد الحميد هنداوي،دار الكتب العلمية ط١ ، بيروت ٢٠٠٠م.
- مَجْمَعُ الرِّوَايَاتِ وَمَنْبَغُ الْقَوَائِدِ، أبو الحسن

● موسوعة السرد العربي، د. عبد الله إبراهيم، المؤسسة العربية للدراسات والنشر - طبعة موسمة، بيروت - لبنان ٢٠٠٨ م.

الدوريات والمجلات :

● السرد العربي القديم البنية السوسيو ثقافية والخصوصيات الجمالية ، عبد الوهاب شعلان، مجلة الموقف العربي ، دمشق ، اتحاد الكتاب، ع ٤١٢ ، س ٣٥ ، آب ٢٠٠٥ م

● الهام الخلق الفني ، محمد ياسر شريف ، مجلة فصول ، الهيئة المصرية العامة للكتاب - القاهرة : ١ / مج ١٠ ، ع ١ - ٢ ، يوليو ١٩٩١ م.
● أوابد العرب، رشيد الخديري، المجلة العربية- مجلة شهرية ثقافية، المملكة العربية السعودية، صفر ١٤٣٦ هـ العدد (٤٥٧) السبت ٢٠١٤/١١/٢٢

نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي ،تح حسين سليم أسد الداراني ، دَارُ المَأْمُون للتراث، دمشق.

● المختصر في علم اللغة العربية الجنوبية القديمة، اغناطيوس غويدي، مطبعة السناتو، القاهرة ١٩٣٠ م

● مسند الإمام أحمد بن حنبل، الإمام أحمد بن حنبل، تح شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة ط ١، ١٤٢١هـ- ٢٠٠١ م.

● المصبتا، دراسة تحليلية لاهوتية لبعض رموز التعميد المندائي، الترميذا علاء كاظم نشمي، مندي طائفة المندائيين، بغداد ١٩٩٨ م.

● مطالع الأنوار على صحاح الآثار، إبراهيم بن يوسف بن أدهم الوهراني الحمزي، أبو إسحاق ابن قرقول، تح: دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث ط ١، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية - دولة قطر ٢٠١٢ م.

● المفاتيح في شرح المصابيح، الحسين بن محمود بن الحسن، مظهر الدين الزيداني، تح: لجنة مختصة من المحققين بإشراف: نور الدين طالب، الناشر: دار النوادر- وزارة الأوقاف الكويتية ط ١، الكويت ٢٠١٢ م.

● المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، د. جواد علي، دار الساقى، ط ٤، بيروت ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م.

● المعجم الكبير، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني، تح حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة ابن تيمية ط ٢- القاهرة ١٩٩٤ م.

● موسوعة أساطير العرب عن الجاهلية ودلالاتها، د. محمد عجينة، دار الفارابي، ط ١، بيروت- لبنان ١٩٩٤ م.